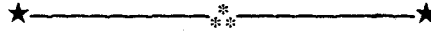


في قضية الدكتور جيفاكو !

بقلم رُئيف خوري

بعث اليينا الأستاذ رُئيف خوري بهذا الرد على ما كتبه بعض الادباء تعليقا على مقاله المتعلق بكتاب بوريس باسترناك . ولما كانت «الاداب» على موقفها من الايمان بحرية الفكر ، فانها تنشر هذا المقال دون ان تتبنى آراء الكاتب ، وهي تترك المجال مفتوحا للرد على هذه الآراء .



بريئا كل البراءة من هذه الميوية ، فان الاحكام المقررة عنده سلفا فيما يتعلق بكل شيء سوفياتي قد حالت بينه وبين ان يرى ما في مقالتي من نقد للاتحاد السوفياتي ، وما أجد تفسيراً لذلك سوى ان مقالتي كتب بلهجة ايجابية هادئة ، والنقد الذي وجه فيه الى الانحسار السوفياتي لم يصدر عن رغبة في ادانة الاشتراكية السوفياتية كيف كان الحال وكيف دار الامر .

لقد كان هم السيد حمودي ان ينتهي في آخر المطاف الى نقطة الابتداء المقررة سلفا في ذهنه ، وهي « ان الشيوعية بعيدة كل البعد عن الديمقراطية ، بل انها تحاربها كحربها لاية حركة قومية !! » ولكن السيد حمودي وجد نفسه محرجا لان السيد خروشيف « لم يتخذ من باسترناك موقفا تصفيا » ، فقال مرة ان السيد خروشيف « حاول ان يقيم الدليل على وجود الحرية والديموقراطية في بلاده » . ثم قال مرة اخرى : « ان السيد خروشوف لم يتخذ من باسترناك موقفا تصفيا لانه لم يستطع » . ولو لم يكن هم السيد حمودي ان ينتهي - بآية طريقة - عند الفكرة المقررة سلفا في ذهنه ، لادرك ان هذه الحجج التي اوردها لا تدل على شيء الا على مقدار احساسه بالحرج . لماذا يكون السيد خروشيف غير مستطيع ان يتخذ موقفا تصفيا من باسترناك ؟ لأن الاضواء العالمية من جميع الجهات ، كانت - كما يقول السيد حمودي - مسلطة على باسترناك وقضيته ؟ ومن من اصحاب هذه الاضواء العالمية لا يمكن ان يقال له قول السيد المسيح : « انظر الجسر في عينك قبل ان ترى القشة في عين اخيك » ؟ فخروشيف لو اراد ان يتخذ تدبيرا حكوميا بحق باسترناك ، لاستطاع ان يرد على كل من ينصب نفسه ديانا له : ايها السيد ، قبل ان تحاسب غيرك ، حاسب نفسك ، ولا تقع في آفة ازدواج المقاييس للاشياء ! . واما ان السيد خروشيف حاول ان يقيم الدليل على وجود الحرية والديموقراطية في بلاده ، كما يقول السيد حمودي ، فاي جريمة في الامر ؟ وعلا ما ينبغي لنا ان نستقبل هذه البادرة منه استقبال الذي يريد التقليل من قيمتها ودلالاتها . الاننا مضطرون ان نحمل على الاتحاد السوفياتي كيف كان الحال وكيف دار الامر ، ام لان ذلك يضايقنا في حرصنا على فكرة ثابتة تحجرت في اذهاننا وهي ان الاتحاد السوفياتي يحارب الديمقراطية ويحارب أية حركة قومية .

ليثق السيد حمودي ان باسترناك لو فعل ما فعل في آخر عهد ستالين لنفي او قتل ، ولم تجده جميع الاضواء العالمية المسلطة من كل الجهات عليه وعلى قضيته ، وسواء ما كان من هذه الاضواء صادقا يعنيه حقا امر حرية الفكر ، او كان مزيفا يعنيه فقط ان يستفصل الضحية .

اذن ، فموقف خروشيف هو حقا وصدقا دليل اتجاه جديد في موقف السلطة السوفياتية من حرية الفكر .

واما نشر قصة الدكتور جيفاكو في ايطاليا ، وعدم نشرها في الاتحاد السوفياتي ، فلا يعني ما اراد ان يستنتجه السيد حمودي . ان المطالبة لباسترناك بحقه في حرية الفكر لا تلغي حق غيره في هذه

كان من حظ هذا الفصل المقتضب الذي كتبه صاحب هذه السطور (1) في قضية الدكتور جيفاكو ان استرعى بعض الباحثين ، فتناوله بالتعليق او بالرد (2) كل من الدكتور عبدالله عبد الدائم والاديبين محمد كشلي وباسم عبد الحميد حمودي .

ولا اري لي مندوحة قبل الخوض في صميم الموضوع ان اصحح ، تصحيحا طفيفا ، حكما اصدره علي السيد باسم حمودي ، حين قال اني « مضطر » للدفاع عن تصرفات هذه الاشتراكية (يعني اشتراكية الاتحاد السوفياتي) بحكم جبي لها ! ولو قد اضاع السيد حمودي لحظة من وقته رجع فيها الى مجموعة « الاداب » سنة 1955 ، عدد آب ، لقرأ فصلا بعنوان « عودة الى مسألة التوجيه في الادب » يثبت له اني بعيد عن ان ادافع عن شيء بحكم جبي له ، حتى تصرفات الاشتراكية السوفياتية . فالعقل هو الذي ينبغي له ان يحكم في مثل هذه القضايا . وحينما شيء ما ينبغي له ان يعني اننا نحكم له دائما . وكرهنا لشيء ما ينبغي له ان ان يعني اننا نحكم عليه دائما . فليس اقبح من حب وكره يستوليان على انسان فيحكم للاشياء او عاينها سلفا ، تراه اذا احب شيئا عمي عن مساوئه ، وزاد اصرارا على العمى ، كلما توضحت هذه المساويء ، واذا كره شيئا عمي عن محاسنه وزاد اصرارا على العمى كلما تجلت هذه المحاسن ، ذلك لان الذي يكره سلفا يعتبر ان الشيء الذي يكرهه يزيد احرارا بما يتناسب من محاسن .

ولو ان السيد حمودي احضر في ذهنه ما حواه مقالتي « في قضية الدكتور جيفاكو » ، بصدد الاتحاد السوفياتي وتجربته الاشتراكية الكبرى ، لوجد ان هذا العطف الذي ابدته لم يرد الا وقد عللت له بالسبب الذي اعتبره مقنعا ، وهو اهمية الاتحاد السوفياتي وتجربته الاشتراكية ، بالقياس الى التحرر القومي العربي وتحرر الانسانية كافة ، فحتسى « مكافحو الشيوعية » الذين ثبت انهم يكافحون شيئا آخر غير الشيوعية ، والذين عودونا الحديث المنتم الملون عن وجوب العدالة الاجتماعية ، واقامة مجتمع لا فقر فيه ولا مرض ولا بطالة ولا احتكار ولا استعمار ولا استثمار ، يعترفون ضمنا او يعترفون صراحة بان هذا كله انما وجب لانه يقطع الطريق على الشيوعية ، وبذلك يعترفون ، من حيث يشعرون او لا يشعرون ، باهمية الاتحاد السوفياتي وتجربته الاشتراكية !

وكما اني اثبت في اكثر من موقف بانني غير مضطر دائما وسلفا للدفاع عن الاتحاد السوفياتي ، برغم ما اكته له من صداقة ، فاني اتمنى للسيد حمودي ان لا يكون بدوره من المضطرين ان يحملوا دائما وسلفا على الاتحاد السوفياتي ، ويحكموا عليه كيف كان الحال وكيف دار الامر . اتمنى هذا ، لا دفاعا عن الاتحاد السوفياتي ، بل ضمنا بنظر السيد حمودي ان يصاب بالميوية التي لا تغير من حقيقة المنظر اليه بقدر ما تؤدي عين الناظر ، سالمها الله .

بل اخشى ان لا يكون السيد حمودي - وليعفوني على الصراحة -

(1) نشرته الاداب ، العدد الثاني ، شباط ، 1959

(2) في العدد الثالث من الاداب ، آذار ، 1959

الحرية . فمجلة « العالم الجديد » التي ردت قصة باسترنك ، لها الحرية ايضا في ان ترى رأيا في نشر قصة باسترنك او عدم نشرها . ان حرية اديب لا تلغي حرية اديب آخر او جماعة من الادباء ، وهذا ما يخيل لي اننا كثيرا ما ننساه حين نخوض في بحث مسألة الحرية . اما اذا سلمنا بحق باسترنك ان يكتب ما هو حق بالنسبة له - كما يقول السيد حمودي - فيجب ان نسلم بحق ادباء مجلة « المسالم الجديد » ، وحق اتحاد الكتاب السوفيات ، ان يتخذوا من عمل باسترنك الموقف الذي يرونه حقا بالنسبة لهم ، فيتقدوا باسترنك ما شاؤوا ، ويحملوا عليه باقلامهم ، وبماقووه وفق المسلك الادبي الذي ارتضاه عندما دخل في منظمتهم ، لا يستثنى من ذلك الا استثناء الدولة عليه . وهذا ما اوضحته على وجه لا ليس فيه ولا غموض .

ولكن اتحاد الكتاب السوفيات الذي نيط به النشر ، والذي رد قصة باسترنك ، ليس سوى منظمة تشرف عليها الدولة . واذن ، فالدولة السوفياتية لا تحتل حرية الفكر - الى هذا يتجه منطلق السيد محمد كشلي . ولا ادري لماذا يحب الاخ الصديق ان يقفز فوق هذه الحقيقة : ان ثمة ادباء زملاء لباسترنك قد اجمعوا اجماعا على انكار محتوى قصته . وانها حقيقة توجب علينا ان نستنتج ، تبعا لمنطق الاخ الصديق ، ان هؤلاء الادباء جميعا هم عبيد وباسترنك وحده هو الحر . وما الدليل ؟ الدليل ان باسترنك وحده هو الذي هاجم النظام السوفياتي ! وهذا يردنا الى موقف السيد حمودي نفسه ان المهم عندنا هو ان ننهي الى بيت القصيد ، اعني مهاجمة الاتحاد السوفياتي . واذا اشركنا النظام الاميركي ، في الاخضاع لهذه المهاجمة ، فذلك افضل لاننا نغطي بذلك نقطة انطلاقنا التي هي الحملة على الاشتراكية السوفياتية كيف كان الحال وكيف دار الامر .

كلا ، ايها الاخ الصديق . . . انك تتحدث عن شيء تسميه « المجتمع الطابعي » ، وتدخل فيه النظامين الاميركي والسوفياتي ادخال متعسف بحق كليهما ، ضاربا عرض الحائط بما بينهما من فروق موضوعية جذرية ، وكل ذلك لتنتهي الى مذهب خيالي في معنى حرية الاديب . نق ايها الاخ الصديق انه لا يمكن لانسان ان يعيش في نظام اجتماعي ويكون مطلق الحرية من هذا النظام كما يخيل لي انك تتصور . واذن ، فقضية الحرية الفكرية التي تحب ان تأخذها اخذا اعمق ، هي في كل زمان ومكان قضية الشروط الموافقة لهذه الحرية وطبيعتها . وفي مقدمة هذه الشروط ان يناط تطبيقها بالذين يفرض فيهم ان يعينهم امر تطبيقها على السوجه المستقيم . فحرية الفكر تنطاط بالفكرين وتراعى فيها طبيعتها الناشئة من كونها حرية فكر تساس بوسائلها الخاصة . ومن هنا كان امرا مهما جدا ان ادباء زملاء لباسترنك هم الذين ادانوه وشجبوا قصة « الدكتور جيفاكو » . واذا استثنيت ما طلبوه من تدخل الدولة لتجريمه من جنسيته - وهو طلب اخطاوا فيه - وجدتهم في ادانته وشجبهم لقصته قد راعسوا طبيعة حرية الفكر فناقشوه في رسالة طويلة وجهت بها اليه هيئة تحرير مجلة « العالم الجديد » . ولكن باسترنك لم يلبه لهم ، لا لانه كان مقتنعا بانه على حق . فلو كان على مثل هذا الافتناع لما تنصل ، ولما عاف قبض جائزة نوبل التي بذلت له والتي ابيح له حق السفر لقبضها . وان تنصله هذا ، وتركه الجائزة ، يدلان على انه لم يكن مقتنعا بعدالة موقفه ، او يدلان على انه لا يخلو من جبن ، وهذه شر من الاولى .

والذي يبدو لي ان السيد كشلي ، بعد الشوط الطويل الذي قطعه منطلقا فيه من نظرية خيالية في الحرية ، قد عاد ففطن الى ان هذه النظرية وان « خدمت المصلحة » في التسوية بين النظامين

السوفياتي والاميركي ، ومهاجمتهما معا ، فهي قد تنقلب نظرية خطيرة في نظام آخر يلقي فيه كثير من الادباء شرا مما لقي اديب فرد هو باسترنك . ويرى السيد كشلي صعبا عليه ان يعرض بهذا النظام من قرب او بعد . ولذلك يتذكر فجأة ان لا بد من شروط في الحرية ، فيطلع علينا بنظرية عن الفرق بين « الاختيار الصادق للنهج الفكري ، ونوع آخر نستطيع ان نسميه المؤامرة الفكرية المدفوعة من الخارج » . مرة اخرى ، كلا ايها الاخ الصديق ! ليس لك - وانت الاديب الذي تفرض فيه الغيرة على حقوق الفكر - ان تسلمح الدولة - اي دولة - بمثل هذا السلاح الذي تتبع لها به ان تنحر حرية الفكر . فكل حاكم - الا اذا ايدته - يستطيع في ايسر اليسر واسهل السهولة ان يزعم ان « اختيارك لمنهجك الفكري ليس صادقا » ، وانك محرك « بمؤامرة فكرية مدفوعة من الخارج » . اي منهج فكري ، ايها الاخ الصديق ، الاشتراكية ، ام الديمقراطية ، ام القومية ، ام الحيداء الايجابي ، ام المادية ، ام المثالية ، لا يمكن ان تكشف فيه ملامح وسمات من « الخارج » ، فيسمى بالتالي « مؤامرة فكرية مدفوعة من الخارج » ؟ ومنذ متى كانت هناك حدود ترسم داخلا وخارجا في عالم الفكر ؟ كل ما في الامر ، ايها الاخ الصديق ، ان ثمة مذاهب ونظريات في عالم الفكر الانساني ، ينظر عند محاولة تطبيقها في هذا النطاق الحي او ذاك ، الى الظروف الموضوعية . وعلى كل حال ، لا يجوز البتة ان نسلم لدولة ، اي دولة ، ان تقرر اي من هذه المذاهب والافكار والنظريات هو نابع من داخل الحدود ، وايها هو نابع من خارجها ، وايها نابع من الارادة وايها من اللارادة .

ونق ايها الاخ الصديق ان نشاط مؤسسة فرانكلين التي عرضت لذكراها ليس مضرا لان الثقافة الاميركية تنبع من خارج الحدود . ففي الثقافة الاميركية ، كما في غيرها ، تقدمية تحررية ورجعية استعمارية . والتقدمية منها صالحة لنا مع حسن الاختيار ، وان هي لم تنبسط شكليا من داخل حدودنا ، بينما الرجعية غير صالحة لنا وان تلاقت جوهريا مع الرجعية عندنا لقاء يظهرها كأنها نابعة من داخل حدودنا . اذن بمقياس التقدمية والرجعية تقاس الافكار ، لا بمقياس نبعها من داخل الحدود او خارجها . والدرس للظروف الموضوعية ، والامكانات المنشودة ، والنقاش الحر والانتقاد بوسائل الانتقاد الفكري ، هي التي تقرر ذلك ، لا الدولة .

واني خلافا لما تعتقده لا ارى ان باسترنك كان صادق الاختيار . فباسترنك ، وكرر القول ، قد شهد على نفسه بعدم الصدق في الاختيار او شهد على نفسه بالجبن ، حين تنصل ولم يقدم على السفر لقبض الجائزة . ومع ذلك لم أر من حق الدولة ان تتخذ بحقه تدبيرا قسريا ، ولا ان تقرر هي انه مدفوع من الخارج او غير مدفوع . فذلك يدخل في حق زملائه الادباء ، كما يدخل في حقهم ان يحاسبوه على مسلكه باعتباره عضوا في منظمتهم ، ويخرجوه من صفوف هذه المنظمة او لا يخرجوه ، ويرفضوا نشر قصته او لا يرفضوها ، ويناقشوه سلامة المحتوى الفكري في قصته ، وحظها من الجمال الفني .



وكذلك يحق لنا نحن مناقشته سلامة هذا المحتوى الفكري وحظ
القصة من الجمال الفني ، وان تكن نابعة من خارج حدودنا .
وستجد ايها الاخ الصديق ان باسترناك قد ذهب في روايته
الى افكار ما ارى كيف نستطيع ان نقره عليها بوصفنا ادباء ، افكار
تنال منه كإنسان ولا تنال من ثورة أكتوبر والنظام السوفياتي ، افكار
لا تشرف اي نظام آخر يتسع للاخذ بها او اي رأس آخر يأذن لها بان
تجول فيه وتحكم في موقفه من الحياة اطلاقا .
وإذا رأيتني أصر على المحتوى الفكري في هذه القصة فلان
باسترناك أرادها رسالة فكرية توجيهية . وإذا أنا ربطت بين هذه
القصة وشخصية مؤلفها ، فلان الدكتور جيفاكو بظلمها مقدود ، ولا بد ،
على مثال باسترناك نفسه ، لان المؤلف يقف منه أبدا موقفا مليئا بالعطف
والتايد ، ويخلي له المنبر ليثبت افكاره ويكيل التهم ، دون ان يبسج
هذا المنبر ولو لحظة للمتهمين كي يدافعوا عن قضيتهم .
ان السيد كشلي يستعرض طرفا صالحا من افكار الدكتور جيفاكو
هذا . فهو يؤمن بالقوة الالهية كمسيرة للتاريخ ، ويرى ان الثورة
ليست ضرورية ، وان الإنسان يجب ان يعيش للحظة الحاضرة لا ليفني
عمره في التحضر للحياة . ومن الغريب ان السيد كشلي لا يترتب
دقيقة ليناقدش هذه الافكار . انه مستعجل جدا ، يريد ان يفرق بين
« الاختيار الصادق » و « المؤامرة الفكرية المدفوعة من الخارج » .
ويريد ان يقرر في حال وجود هذا الاختيار الصادق ان السواجب
يقضي باطلاق المجال للتعبير عن الرأي ومن ثم يترك للصراع الفكري
الموضوعي اصلحية اية فكرة او منهج للبقاء ... ولكن السيد كشلي
لا يخطر له على الاقل ان يقيس حتى بمقياسه هذا افكار جيفاكسو
باسترناك . حسب ان باسترناك كان صادقا الاختيار ، وان افكار
جيفاكو باسترناك ، ان فاتتها الاصلحية (والسيد كشلي يمز عليه ان
يصرح بذلك وان بدا عليه انه يعتقد) فالمسؤول عنده هو ازمة الحرية
التي يعانها المجتمع السوفياتي . وهكذا يكون المهم كيف كان الحال ،
وكيف دار الامر ، ان ننال من هذا النظام السوفياتي !! اما ان افكار
جيفاكو باسترناك هي افكار معطلة لكل ارادة بشرية ، داعية للجمود
والخمود الاجتماعي ، مناقضة لبدا النمو الحضاري الذي يبني فيه
الإنسان لفته ، والجيل لمن بعده ، فكل هذا قليلا ما يعني السيد كشلي
بل هو لا يسأل باسترناك اذا صح رايه ان القوة الالهية هي التي تسير
التاريخ مباشرة بكل استقلال عن ارادة البشر : ما معنى احتجاجك ،
اذن ، ايها السيد ، فتورة أكتوبر وجميع الثورات هي من احداث هذا
التاريخ الذي تستقل القوة الالهية بتسييره ، فما لم يعجبك منها
تستطيع ان تسال عنه القوة الالهية .

وبعد ، ان ازمة الحرية ، على افتراض ان مجتمعا يعانها ،
لا تبرر ابدا افكارا كافكار جيفاكو باسترناك . وبوجه خاص ، لا تبرر
ان تصور ادبيا يريد تغذية مجتمعه والمجتمع الإنساني بمثل هذه الافكار
انه بطل حرية . فالسيد كشلي يوافقني على ان المجتمع العربي يعاني

ايضا ازمة حرية . فليقل لي الاخ الصديق ما يكون موقفه من ادب
عربي يقذفنا بمثل افكار جيفاكو باسترناك فيعلن لنا ان القوة الالهية
هي المسير للتاريخ مستقلة عن ارادتك ، فلا تتعبوا . عيشوا للحظنكم
الحاضرة ، لان الإنسان انما وجد ليعيش لهذه اللحظة لا ليفني عمره
في التحضر للحياة ، او ليثور ، او لينشد اصلاحا ، او ليورث الاجيال
من بعده « حياة افضل » هي كيف دار الامر غاية لا تبرر الوسائل
التي تستعمل لنيلها ... افكان الاخ الصديق يكتفي بان يعتبر هذا
الاديب صادق الاختيار ، ويلتمس له العذر في ازمة الحرية ؟ ام تراه
كان يعتبر حماية المجتمع منه واجبا قوميا في فترة الانتقال (على حد
تعبير الاخ الصديق نفسه) فيوافق على ان تقتص منه الدولة بحجة انه
مشارك في « المؤامرة الفكرية المدفوعة من الخارج » ؟ ام ترى كان
الاخ الصديق يهتف به : يؤسفني ، ايها الاديب ، انك مريض النفس ،
وانك مفلس افلاس فكري وروحي . ومع ذلك فانا لا أستعسدي
عليك الدولة ، وانما ارفض ان اخاطب الشعب واياك من منبر واحد ،
وساستنفر زملائي الادباء ليفنعلوك بان ترتدع ، ولينبهوا شعبي لخطر
السم في هذا الغذاء الذي تدفع به اليهم ؟

اني اعتقد ان لا موقف صحيح الا هذا الموقف الاخير ، وان جيفاكو
باسترناك يستحق هذا الموقف ، وان الادباء السوفيات - اذا استثنينا
انهم اخطاوا اذ استعدوا عليه الدولة - قد كانوا على حق في تعريفهم
ازاء باسترناك . واعتقد فوق ذلك ان تورع الحكومة السوفياتية عن
اتخاذ اي تدبير بحقه هو دليل انفتاح جديد في الديمقراطية
السوفياتية ، وان باسترناك بعيد عن ان يكون رجلا امينا حقا مع نفسه،
شجاعا ، سليم النفسية ، ولا دخل في ذلك للمجتمع السوفياتي .
وما اظن الاخ الصديق ، محمد كشلي ، الا قد قرأ هذه القصة
- « الدكتور جيفاكو » - وسمع باسترناك يقول بلسان بطله وهو
موافق على ما يقول :

« اني اسلم بانكم مشاعل نور . وانكم محررو روسيا . اسلم
بانها لولاكم لهلكت وغرقت في البؤس والجهل . ومع ذلك اني لا اكرث
لكم . اني لا احبكم . فليذهب بكم الشيطان جميعا » .
هكذا يخاطب جيفاكو باسترناك ، او باسترناك جيفاكو ، مواطيه .
انه يشهد لهم بالدور التاريخي الذي ادوه في انقاذ وطنه وانهاضه .
ومع ذلك يدعو عليهم بان يذهب بهم الشيطان جميعا ، ويمقتهم
ولا يكرث لهم . وما اظن السيد كشلي الا يوافقني على ان هذه
نفسية معتوه ، على احسن تقدير ، او انه مخلوق بلغ به الحقد حدا
اعماء ودمر ضميره تدميرا . ولماذا ؟ لانه قد مقت سلفا ، وكره مقدما ،
واشند به هذا الكره والمقت بنسبة ما رأى الشيء الذي مقته وكرهه
يحيا وينمو ويقوى . وانسان كهذا لا يمكن ان تكون لقضيته علاقة
بقضية الحرية من قرب او بعد .

واني أرسخ فئا بان الدكتور عبدالله عبد الدائم يوافقني هو
ايضا . فقد آنتست من رده رصانة خاصة وحرصا على تجنب المواقف
القررة سلفا . ان الدكتور عبد الدائم يطرح اسئلة وجيهة تدعو الى
اعمال التفكير ، ولكنها في الحقيقة تتصل بميدان نظري يفسح بينه
وبين الشيوعيين ، ففري اولي بان يخوضه واياه . ومع ذلك ارى
باستطاعتي ان اقول له ان قضية موقف السلطات الحاكمة من الحرية
الفكرية قد كانت وستبقى ، بوجه عام ، قضية حظ هذه السلطات
من الطمأنينة او القلق على سلامتها في الداخل او في الخارج ، او في
كليهما معا . وبعبارة اخرى ان التوسيع على الحرية في اي نظام
انما يرتكز على اساس القوة والثقة بالنفس . وهنا يمكنني كملاحظ قادر
- ولا فخر - ان يكون موضوعيا ، ان اقول للدكتور عبد الدائم :

مذكرات

أفغان

إعداد الإجماعية في
حياة العامة بين مقاصد
وفي حياة الخاصة عن حقيقته

دار العلم للطباعة

النشاط الثقافي في الوطن العربي

٢ - تتألف لجنة حكاهم تنتقي احسن الكتب وتوزع الجوائز على اصحابها .

وكلا الامرين سيء . ان تحديد الموضوع شئ لكل عفوية الكاتب وذاتيته ، اما تأليف لجنة حكاهم فهي مؤامرة لتجميد كل ابداع وتثبيط كل وثية . وكلا النوعين محاولة خطيرة لربط الادب بالدولة واغتتيال حرية الذوق الفني والحد من حرية الفكر . ماذا نتوقع ان تكون لجنة التحكيم ؟ شيوخ محافظون ذوو مسلمات ثابتة لا تقبل التطوير ولا تسميع الابداع . ويكفي ان نعلم ان « لجنة الشعر العربي » التي يرأسها الاستاذ الكبير عباس العقاد لم تعترف بنزار قباني كشاعر الا في العام الماضي . . . يكفي هذا حتى نحكم على اللجنة بانها سلحفائية السرعة والقدرة على مجازاة التطور الادبي وفهم روح العصر .

ان الجمهورية العربية المتحدة من الدول القليلة التي تؤمن للفكر اسس الحرية المطلقة ، فهي لا تتبنى نظاما فكريا ولا تفسيرا كونيا لتفرضهما على الناس قبل ان يشعروا . فسي التفكير . . . كما هو الحال في امريكا وروسيا . كما ان الادب العربي الحديث خلو من نزعة فنية تسيطر عليه وتطبعه بطابعها ، وهو قد تطور بعيدا عن تأثير الدولة ، لذلك يجب ان نحافظ - ما استطعنا - على حرية الفكر والذوق : ان قصيدة في الغزل ، رقيقة وانسانية ، لا تقل ابداعا عن أية

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي
الترجمة والنشر . . في وزارة الثقافة

لرسل الآداب محيي الدين صبحي

يدخل في أعمال وزارة الثقافة تأليف لجنة للنشر والترجمة ، فقد آن لنا ان نشجع ابداعنا المعاصرين وان نكف عن اهمالهم حتى اذا ماتوا تذكروناهم وكرمناهم ونشرنا آثارهم ! ان الكتاب العربي - في سوريا خاصة - يعيش هو وصاحبه في أزمة مأساة لا نهاية لها . . . فكم من كتب ترفد في رفوف اصحابها دون ان تجد طريقها الى الناس . وكم من دواوين ومقالات مبعثرة لا يجمعها اصحابها هربا من الخسارة . . . والذين يأبى ظموحهم ان يدفن تحت الغبار يقاسون مرارات مرهقة اذ يقترون على انفسهم اوان الطبع وحين تجبى الاثمان من السوق يلتهم الناشر كل ما تبقى فضلا عن أنه يتحكم بطريقة تصدير الكتاب وتوزيعه الى اقطار دون اقطار .

ان تشجيع الابداء يتم الان بطريقتين : ١ - ترصد جوائز حول موضوعات تعينها الدولة ، وعلى الابداء ان « ينشئوا » آثارهم حولها .

الفارغة ان يوهنا بأنه كمسيح الانجيل ، كان مسيح الانجيل الذي هو رمز انكار الذات في سبيل الانسانية يمكن ان يحتمل تشبيهه باناني يرفع شعار العيش للحظة الحاضرة كيف كان الامر ، وولاؤد الاكبر - كما يشهد كل تصرفه في القصة - انما هو ان يعيش لهذذ اللحظة الحاضرة لا لعقيدة أبة كانت (١) ! . .

رئيف خوري

(١) من آيات ذلك ان الدكتور جيفاكو الذي يجد نفسه ، عند اندلاع الثورة ، مع الانصار الشيوعيين هو مبال بعاطفته كلها السى اعدائهم البيض . . . ويروح البيض للقاء الانصار ، ولكن الدكتور جيفاكو لا يحاول ان يلحق بهؤلاء الذين يميل اليهم ويؤيدهم في دخيلة نفسه ، بل يشارك الانصار في اطلاق الرصاص عليهم ويقتل منهم ، مدعيا انه غير قاصد الى القتل . . . ثم يطب جريحا منهم جرحه برصاصه ، ثم يأذن له بالانصراف ليلاحق بالقائد كولتاشاك خصم الشيوعيين ، ويواصل محاربتهم . ولكن الدكتور جيفاكو يبقى حيث هو في صفوف الانصار ، ورغم انه كان قادرا على اللحاق بكولتاشاك كما فعل الجريح الابيض الذي عالجته . وهنا يتساءل القارئ : اي « بطل » هذا الذي يباركه باسترناك ، ويريد ايهانا بان طريقه طريق المسيح . انه بطل يخون نفسه ، ولا تلزمه عقيدته بموقف يتخذه . ولا تفسير لذلك كله الا خوفه وجبنه . ومع ذلك يرى الاخ الصديق محمد كشلي ان باسترناك كان « صادق الاختيار » ، حين عطف على مثل هذا البطل الذي جبن عن اختيار موقف تمليه عليه عقيدته . .

قضية الدكتور جيفاكو

- تنمة المنشور على الصفحة ١٢ -

ان الدلائل كلها تشير الى ان النظام السوفياني قد رسا فيه هذا الاساس وثبت بحيث يسع لتحقيق هذه الامنية التي استبعدها الدكتور ، الا وهي اطلاق حق الانتقاد للحكام السوفيانيين في جرائد سوفيانية وهم احياء .

اما تساؤل الدكتور : هل من الجائر التضحية بانسانية حاضرة ، انسانية حية ، في سبيل الوصول الى انسانية جديدة ربما كانت مزعومة ؟ فاني اقول للدكتور بقطع النظر عن كون هذه الانسانية المستقبلية الجديدة ، مزعومة او غير مزعومة : لا مناص لنا ، يا سيدي ، من التضحية على كل حال . ان التضحية كانت في طبيعة الوجود الانساني منذ ان كان هذا الوجود الانساني ، استمرارا فيه اليوم وفيه الغد ، وفيه الجيل الحاضر الذي يفكر بالجيل المقبل ، وفيه السير على الزهر والسير على الاشواك المدمية . ان مخلوقا كجيفاكو باسترناك افلست نفسه من كل رصيد انساني هو وحده الذي يستطيع ان يرفع شعار العيش للحظة الواحدة ، لان ماضيه قد فات ، كما فات كل ماض ، ولان مقتله للبشرية وانانيته يمنعانه من ان يرى معنى لاستمرار البشرية من بعده . والآنكى من هذا كله ان جيفاكو هذا يبلغ به تمجيد ذاته